

خطاب الصورة الإلكترونية في العملية التعليمية من الوسيطة إلى المركزية

* ط/د. علية أحلام

البريد الإلكتروني: ahlam.allia07@gmail.com

جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

الملخص:

تحتل تكنولوجيا التعليم بمكانة هامة في النظام التعليمي / التربوي الحديث، وذلك لما تقدمه من خدمات جليلة لهذا النظام، كونها تسعى إلى تزويد الحقل التعلّمي / التعليمي بالآليات والأدوات الفاعلة التي تضمن لمتوجهه الجودة والتنوع تماشيا مع ما يتطلبه الوضع الجديد على كافة المستويات السياسية_الاقتصادية_ الاجتماعية... إلخ، وتأتي الصورة الإلكترونية لتشير إلى واحدة من تلك الأدوات والآليات التعليمية التي عرفت تموقعا خاصا داخل العملية التعليمية / التعليمية في ظل توظيف تكنولوجيا التعليم، فبعدها كان هذا النوع من الصور وسيطا بين المتعلم والمعرفة أصبح اليوم مركزا تعليميا تدور حوله مختلف الممارسات التعليمية، وتتجاذبه أنماط المعرفة المتنوعة لتصل إلى المتعلم في قوالب أكثر بساطة، وهذا ما ستفصل فيه أكثر هذه الورقة البحثية.

Abstract :

Educational technology has recently encompassed the most edagogical settings ,it has becom such an indispensible medium that sees to foster the educational system in particular, this can be shown through the various beneficiel services that technology provides to the system, especially through the convenient immersion of innovative methods and modern materials that tend to renovate the traditional adopted systems to be up_to_date with what is being required in this developed era, in addition, technology has greatly grown to the point that it has included almost all levels such as poilitical, economical and social fields, therefore, it is very important to note that nowadays advanced technology is deemed as a crucial educational means ; especialy when it is correctly adapted with the educational setting in order to enhance and facilitate the proceses of education, as well as, it tries to renovate all what concerns this sector, Consequently, the real

practical immersion of technology has become a must whereby this piece of work seeses to examine.

تمهيد:

لقد شكّل التّصوّر الجديد القائم على أهمية توظيف التكنولوجيا في الجانب التعليمي نقلةً نوعية في مسار المنظومة التربوية الجزائرية، حين فتح المجال أمام المعلوماتية لتدخل من بابها الواسع فتصبح جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية، خصوصاً بعدما جاءت الإصلاحات التربوية لتؤكد على أهمية التماشي مع التطوّرات الحاصلة في سعيٍ منها إلى تفعيل عملية التعلّم، كل هذه المستجدات رسمت ملامح العملية التعليمية الحديثة، فبات نجاحها متعلقاً بتسخير الوسائل التكنولوجية لتكون أدوات تعليمية مساعدة، يقف استخدامها على أولوية تزويد المتعلّمين بجملة من المعارف والخبرات التي تنمي تحصيلهم العلمي، و تعين على خلق جوّ تفاعلي داخل الصف التعليمي تتحدد وفقه المكانة المركزية للمتعلّم داخل العملية التعليمية، ويأتي استخدام الصورة الإلكترونية في سياق محاولات إحداث الفعالية المطلوبة في الصف التعليمي بالنظر إلى الإمكانية المتاحة لهذا النوع من الوسائل التعليمية لتحقيق أهداف تربوية واعدة، تروم عن التعليم التقليدي الذي يتلخص في عمليتي التلقين والحفظ.

1_ مفهوم الصورة الإلكترونية:

يتحدد المفهوم العام للصورة الإلكترونية بالنظر إلى تلك الثنائية التي تجمع بين الصورة بعدّها شكلاً من الخطابات غير اللغوية، وبين الإلكترونيات بوصفها أجهزة تتسم بالسرعة والدقة في عرض المحتوى، ويأتي هذا التشكيل المفاهيمي ليبدّل على أن الصورة الإلكترونية فضاءً يُبيّن عن عرضٍ خاصٍ لمجموعة من الأنساق الثقافية التي تبلور في شكل خطابات بصرية يتم عرضها على شاشة الأجهزة الإلكترونية: كجهاز الكمبيوتر، الهاتف الذكي، اللوحة الإلكترونية... إلخ.

ومن المعروف أن الصورة كهيكل حسّي تدلّ على ذلك " الكُلُّ المكمّل المركب الذي يشمل الجانب الحسي والعقلي والمعرفي والإبداعي"⁽¹⁾، فهي رسالة تحوي مجموعة من المضامين التي قد تعجز اللغة عن إيصالها، فتتوارى خلف نوع من التشكيلات الفنية التي تمتزج فيها الجوانب الحسيّة والفكرية والإبداعية لتشكل بناءً فنيًا خاصاً يُبْم عن براعة صاحبه في تصوير

الواقع والوقائع، فينجذب هذا التصوير تارة نحو رسمٍ حقيقي لموجودات الواقع المعيش، وتارة أخرى نحو ترصّدٍ مجازي خيالي لها، فالصورة بناء على ذلك "تجعل المحسوس أكثر حسية وأكثر لمساً، ومن ثمة فهي مكوّن رمزي، وتأويل مرئي يقدّم الأفكار وجزيئات الواقع لتغدو ثقافات بصرية تستفز الأحاسيس، وتستولي عليها بيسر وافتنان"⁽²⁾.

وتأتي الصورة بمفهومها العام لتدّل على تقنية من تقنيات التعبير الإبداعي التي تُجبر المتلقي على تسخير كل العمليات الحسية، والعقلية، والفكرية، والتحليلية، والاستنتاجية لفك شفرات الخطاب البصري، فهي بناء على ذلك تركز على تفعيل النشاط الذهني من خلال العمل على صياغة الأنساق اللغوية في قوالب تشكيلية تتسم بالإبداع الفني الذي يحمل متلقيه على التأمل والتفكير، وعليه فالصورة عبارة عن أشكال وألوان تمتاز لتشكيل بنية دلالية، حيث تعتبر أبسط وسيلة للتوضيح والتفسير والتأثير أكثر مما تفعله الكلمة، فنحن نلجأ إلى استخدام الصورة للحصول على تأثير أوسع من ذلك الذي تحققه اللفظة، ويبقى ذلك مرتبطاً بحسن مراعاة التقنيات المستخدمة لأجل تحقيق الأهداف المتوخاة من هذا الخطاب المرئي⁽³⁾.

ويأتي مفهوم الصورة الإلكترونية مستندا إلى جملة تلك المعاني التي تحيط بالصورة البصرية ليبدّل على نوعٍ من الخطابات التي تقوم على التصوير التشكيلي للأنساق اللغوية، إلا أنّ هذا التصوير يخضع لتقنيات حديثة تستوجب حضور جهاز إلكتروني يتم من خلاله العرض التصويري، ولأن الأجهزة الإلكترونية أضحت وسيلة شائعة الاستخدام في عرض المعلومات على اختلاف تظاهراتها، بعدما عرف العالم انفجاراً معرفياً تطلّب هذا الحضور الفعلي للوسائل التكنولوجية، فإنّه بات من الضروري الاعتماد عليها في نقل المعلومات لأنها "ذات سرعات وقدرات متزايدة بصفة مطردة لأداء مجموعات من العمليات في وقت واحد"⁽⁴⁾.

ولأننا بحاجة ماسة إلى هذه السرعة التي تتميز بالدقة في النقل والتجسيد لتكون سبيلنا في تزويد الآخر بمجموعة من المعلومات بتكلفة أقل في الوقت والجهد، فإنّ توظيف هذه الوسائل التكنولوجية واستخدامها في عرض الصور، وتجسيدها على الشاشات الإلكترونية يشكل خطوة مهمة

في عصر تطور المعلومات، بعد أن باتت الصورة تغزو جميع مناحي الحياة، فهذا الحضور القوي للصورة استمدّ قوّته من تلك القيمة التي تتمتع بها هذه الأخيرة في الأوساط: الطبيّة،

الإعلامية، العسكرية، التعليمية... إلخ، فالصورة " مُغرّبة بما تحمله من مُنَعٍ تُداعِب المشاعر والغرائز، وكثيرا ما تمنح متلقيها متعة الاسترخاء، وتُغفیه من مشقة التأمل والتفكير والاستنتاج التي يبذلها في قراءة كتاب أو استماعٍ لمحاضرة"⁽⁵⁾.

إنّ الصورة الإلكترونية بهذا المفهوم خاصة من الخواص الحديثة التي تجمع بين القوة في التأثير والقوة في عرض المحتوى المعلوماتي، عندما تتخطى النظرة التقليدية للصورة بعدها وسيلة توضيحية إلى نظرة جديدة تتمحور حول ذلك الفضاء البصري/الإلكتروني الذي تتناغم فيه الحملات المعرفية لتعطي خطابا رمزياً، يتمكن متلقيه من فك شفراته من خلال الإيجازات التي تتوارى خلف العرض التشكيلي لرموز الخطاب.

ويمكن القول في الأخير أن الصورة الإلكترونية من مستحدثات العصر نتجت بفضل الثورة التكنولوجية المتزايدة التي يعرفها العالم اليوم، فكان لها الأثر الكبير في نقل المعارف والمعلومات بين الأمم والشعوب، نتيجة التمازج الذي فرضه التواجد المعلوماتي عندما رأى أهمية الربط بين السرعة التكنولوجية وبين الصورة البصرية في سعي منه إلى إيجاد أدوات حديثة تتماشى مع الواقع الجديد، فجاءت الصورة الإلكترونية لتلخص الكلام الواسع في حيز ضيق إلا أن محتواه أوسع من الكلام في حد ذاته.

2_ أهمية خطاب الصورة الإلكترونية في العملية التعليمية:

عرفت العملية التعليمية عدّة محاولات جدية تهدف إلى إلغاء التصوّر التقليدي للتعليم واستبداله بتصوّر جديد يرى أهمية تحديد أدوار الثلاثية (المعلم، المتعلم، المادة المعرفية) في بناء ملامح العملية التعليمية الحديثة، فجاء التركيز متمحورا حول وظيفة المتعلم بعده محور العملية التعليمية.

ولقد كانت مهمة القائمين على المنظومة التربوية منصبة حول تسخير الأدوات والوسائل التعليمية التي تمهدّ لنشاط تفاعلي يقوم به المتعلم داخل سيرورة الفعل التعلّمي/ التعليمي، كل هذا أكدّ على أن العملية التعليمية الحديثة تسعى لبناء فرد قادر على مواجهة كل التحديات، بعد أن بات العالم اليوم يشهد صراعا أيديولوجيا فكريا فرضته العولمة بكل أنواعها.

ولقد أصبح التعليم الحديث منوطا أكثر من أي وقت مضى بأهمية استخدام التكنولوجيا في عملية التدريس، حين أضحى الممارسات التعليمية متمركزة حول مواكبة

التطورات الحاصلة والاستفادة منها في تفعيل عملية التعلم، فبات توظيف الوسائل التكنولوجية لازمة من لوازم نجاح العملية التعليمية.

وتدخل هذه الرؤية الجديدة للتعليم ضمن بوتقة الإصلاحات التربوية التي تشهدها المدرسة الجزائرية، والتي ترى إلزامية "تعميم استعمال وسيلة الإعلام الآلي ونظام المعلوماتية بإقامة مخابر خاصة في كل مؤسسة تعليمية، مُساهمة بذلك في خدمة البيداغوجيا، وتعميم التكوين لهيئة التأطير والإدارة والتلميذ"⁽⁶⁾، متماشية بذلك مع التطورات الحاصلة، وأخذة على عاتقها محاولات جادة تجعل من التلميذ عنصرا فعلا داخل العملية التعليمية، وداخل مجتمعه.

وما دام التطور التكنولوجي قد أفضى إلى إسهامات فعلية شملت مختلف نواحي الحياة فإن تسخيرها في العملية التعليمية للاستفادة منه قد بات أمرا لا بد منه في تحقيق غايات وأهداف المدرسة الجزائرية، ولهذا كان توظيف الوسائل التكنولوجية لتكون وسائل تعليمية تساهم في تحرير المتعلم من قيود التلقي والتلقين، بعد أن ارتكزت النظرة الحديثة للتعليم على وجوب تغيير وظيفة التلميذ من مستهلك إلى مساهم فعال ونشط، يستوجب إشراكه في كل مراحل الفعل التربوي⁽⁷⁾، وعليه فإنّ الغاية من توظيف الوسائل التكنولوجية الحديثة تتمثل في محاولات تفعيل عملية التعلم.

إنّ تسخير الأدوات التكنولوجية يكتسي أهمية كبرى في تحسين عملية التعلم خصوصا في المراحل الأولى من التعليم، لأن التلميذ في هذه المرحلة التعليمية ينجذب أكثر نحو المحسوسات، والألوان، والصور، فيعتمد على الملاحظة الحسية أكثر من أي شيء آخر فهي "العماد في نموه العقلي، والأساس الذي يبنى عليه علمه، إذ أنّها الأصل في استجماع الحقائق وإكثارها، وتثبيتها في وعيه، فتتخذها الذاكرة والخيال والحكم والتعليل والتفكير ليقوم كل منها على قواعدها نشاط أعماله المختلفة، وكلما كانت الملاحظة قريبة من حقيقة الأشياء ملتصقة بالواقع من الأعمال كان الإدراك المبني عليها صحيحا"⁽⁸⁾، وعليه فإنه ينبغي أن يتيح للتلميذ فرصا كبيرة ليتمكن من توظيف هذه الآلية المهمة في بناء تعلماته، فهي الأساس الذي يعينه على تنشيط جهازه الإدراكي حتى يتسنى له الإدراك الصحيح للحقائق والمعارف.

ومن هنا كان لتوظيف الصورة الإلكترونية في عملية التعلم الدور الكبير في تفعيل وتنشيط دور المتعلم في بناء المعرفة، حين تعمد إلى استئثاره جهازه الحسي/ الإدراكي من

خلال ذلك العرض الخاص الذي يتم عادة على جهاز الكمبيوتر والذي يعدّ " من الوسائل الآلية السمعية البصرية التي انتشرت بفاعلية في المدارس منذ 1977 نتيجة لتطور الأساليب التعليمية"⁽⁹⁾، فأصبح منذ ذلك الوقت وسيلة من الوسائل التعليمية التي عرف استخدامها نقلة نوعية في المسار التعليمي.

فالعنصر التعليمي التي تقوم على استخدام الوسائل التكنولوجية تكون أكثر فعالية من تلك التي تقوم على استخدام الوسائل التقليدية، وهذا لا ينفي أهمية تلك الوسائل ونجاحها في تحقيق عملية التعلم إلا أنه يؤكد على أنها تبقى قاصرة في كثير من الأحيان على أن تؤدي الغايات والأهداف الكبرى للمنظومة التربوية بالنظر إلى ما تستطيع أن تحققه الوسائل التكنولوجية.

لذلك فإن استخدامات الحاسوب كغيره من الوسائل التكنولوجية الأخرى " تعددت لتشمل جوانب العملية التعليمية جميعها، وهذا ما يجعلنا نضع الحاسوب أمام الطلاب وندربهم على استخدامه، لتحسين مستوى التعليم في المدارس، والانفتاح نحو التجديد ومواكبة متطلبات العصر، وهذه الصفات كلّها تتجلى في الحاسوب التعليمي الذي يمتلك قدرة عالية على إثارة دافعية المتعلم، كما أنّ هذا الجهاز ينمي تفكير المتعلم، ويجعله يفكر بطريقة إبداعية خلاقية"، لهذا فقد كان للكمبيوتر الفضل الكبير في نقل المعلومات والمعارف للتلميذ، ومن هنا جاء استخدامه في عرض الصور التعليمية ليعزز من دورها في تفعيل عملية التعلم وليسهم بشكل كبير في تحويل المتعلم من متلق سلبي إلى عنصر نشيط يبحث عن المعرفة فيلاحظ، ويدرك، ويحلل، ويفسر، ويستنتج.

ومن المؤكد أنّ للصورة الإلكترونية جوانب تعليمية هامة يتم العمل فيها على اختيار دقيق للمحتوى المعلوماتي الذي تحويه، والذي ينبغي أن يتماشى مع طبيعة التلميذ ومع الأهداف الخاصة بكل مرحلة تعليمية، حتى يكون لها الأثر المتوخى في العملية التعليمية، وقد حُصّنت الصورة الإلكترونية باهتمام كبير من طرف التربويين، وذلك بالنظر إلى الأهمية الكبرى التي يكتسبها توظيف هذه الأخيرة في تزويد المتعلم بالمعارف وتحقيق التكامل المعرفي الذي يفيد في مساره التعليمي، ولهذا فإنّ "التعويل على خطاب الصورة في تثقيف الطفل له مبرراته العلمية والجمالية، فقد أضحت الصورة المصدر الأساس في نقل الثقافة، بل وفي نشر المظهر

الحضاري، نظرا لما تمتلكه الصورة من عناصر التشويق وسرعة التبليغ، وتحميل الموضوعات المصوّرة".

ولا شك أنه عندما تجتمع الصورة مع التكنولوجيا فإن الأثر التعليمي سيزداد، وأنّ التفاعل سيكون حاضرا بقوة، لأن التلميذ سيجد في هذا الفضاء الجديد ممارسة مغايرة للاكتشاف والبحث، وينبغي أن نشير هنا إلى أنّ هذا الأسلوب التعليمي يدخل ضمن طرائق التعلّم النشطة، والتي ترى ضرورة إعادة النظر في استخدام الوسائل التعليمية، ومن ثمّ التركيز على الوسائل التعليمية " التي تثير اهتمام التلاميذ، وتلفت انتباههم، وتحفزهم للاشتراك في المواقف التعليمية، وتزيد من دافعيتهم للتعلّم، وتقلل من الملل داخل الصف الدراسي، وتساعد على زيادة خبرات التلاميذ، وتربط بين الخبرات السابقة وخبراتهم الحالية"، كل هذه الشروط فتحت المجال ليكون العمل بالوسائل التعليمية الحديثة في العملية التعليمية ضروريا جدا وذلك بالنظر إلى أهميتها التي تتلخص في استثارة دوافع التلميذ نحو التعلّم والاستكشاف المعرفي.

فالصورة الإلكترونية بعدها وسيلة تعليمية تنطلق من أهمية إحراز الأهداف التربوية التي تتمثل في خلق متعلّم فعال داخل الصف التعليمي، يسعى نحو إيجاد المعرفة انطلاقا من توظيف العمليات الحسية/ الإدراكية، والتي تتداخل لتؤسس لعملٍ تعلّمي مستقل، يندرج ضمن فحوى الرؤية الحديثة للتعليم، ولهذا فإنه كان لتوظيف الصورة الإلكترونية في الجانب التعليمي أهمية كبرى في الانتقال بالمتعلّم من منطق التعليم الجامد إلى منطق التعلّم النشط حين تحمله على التفكير والتحليل والاستنتاج من خلال ما تعرضه من ترميزات، يتطلّب فكّها اللجوء إلى عمليات ذات مُستوٍ عالٍ.

3_ آليات توظيف خطاب الصورة الإلكترونية في العملية التعليمية:

بعد أن عرف التعليم في المدرسة الجزائرية توجهها جديدا يقوم على أهمية توظيف التكنولوجيا ووسائلها في ممارسة الفعل التعلّمي / التعليمي، على اعتبار أنّ التحوّلات الراهنة تستوجب العمل بوسائل تعليمية حديثة تساهم في تكوين فرد قادر على مساهمة كل تلك التحوّلات، لذا كان لا بد أن يعرف توظيف هذه الوسائل آليات حديثة تعمل على تفعيل الممارسة الفعلية لتلك الوسائل، فكان استخدامها في العملية التعليمية مبنيا على جملة من الأسس المنهجية والقواعد التي تجعل منها مركزا في بناء التعلّمات.

ويدخل استخدام الصورة الإلكترونية ضمن هذا الباب ليعرف توظيفه آليات وشروط خاصة تجعل منه محطة مركزية تنبني عليها الممارسات التعليمية، يجد المتعلم فيها كل ما يسد حاجته التعليمية، فيتفاعل مع ما تعرضه من محتويات تصوّر واقعه المعيش.

ويمكن أن نشير هنا إلى أن المتعلم في العملية التعليمية الحديثة ينبغي أن "يكشف ويبحث، ويكتسب، ويُعمّم، ويوظف بطريقة صحيحة، وينجز بكفاءة، ويتحقق بمفرده، ويضع ملاحظاتٍ لنفسه، ويقيس قدراته، ويشارك في عملية التعلّم"، كل هذه العمليات تقع مسؤولية تحقيقها على عاتق استخدام الوسائل التعليمية، فمتى كانت قادرة على شد انتباه المتعلم واستثارة ذهنه كان لها أن تكون سبيلا يتوصل التلميذ من خلاله إلى المعرفة دون تدخل وسيط آخر، ومن هنا كان للصورة الإلكترونية تواجد مسبق يقف على أهمية جذب التلميذ نحو المعرفة المتشكلة ضمن ذلك الخطاب البصري.

فكان "الإخراج الرقمي الذي جعل من الصورة حضارة جارفة وشاملة، حتى غدت وخاصة الرقمية منها خطابا يقول حضارته، ويملي توجهاته، ويلغي كل اعتبار قومي أخلاقي أو سياسي، ولم يعد للخصوصية مكان يقيها من تسونامي الصورة الرقمية، فقد أصبح جليًا أن من امتلك خطاب الصورة إنتاجا وإرسالا وإبداعا امتلك بها عقل الآخر"، لهذا غدا توظيفها في العملية التعليمية متمركزا حول إعادة النظر في آليات التوظيف التي ترى في الصورة الإلكترونية وسيطا في عملية التعلّم، فتأتي كوسيلة للشرح والإيضاح على أن يسبقها دائما خطاب لغوي يشوبه نوع من التعقيد، فيتم في الغالب الاستعانة بها لتبسيط تعقيداته اللغوية.

هذه الرؤية التقليدية للصورة هي من جعلت الخطاب الصوري يفقد حمولته التأثيرية، فكان لا بد من أن نُوجّه النظر نحو مركزية خطاب الصورة وأهميته في نجاح العملية التعليمية، وعليه فقد كان من الواجب أن نتيج لهذا النمط التعليمي فضاءً خاصا يستوقف أدوار أقطاب العملية التعليمية، فيحدد وفقا لفعالته هيئة الوضعية التعليمية المتمركزة حول المتعلم باعتباره الأساس في عملية التعلّم.

ويمكن الإشارة إلى أن دور المعلم في هذا النمط التعليمي يبقى منحصرًا في العمل على عرض الصورة الإلكترونية في طابعها الجمالي الذي يأسرُ ذهن المتلقي ويجذبه لقراءتها، كما أن عمله يبقى مرتبطًا كذلك بالتوجيه والإرشاد، فهو "لا يسيطر على الموقف التعليمي ولكنه

يُديره إدارة ذكية، بحيث يوجه المتعلمين نحو الهدف، وهذا يتطلب منه إلمامًا بمهارات مهمة تتصل بطرح الأسئلة، وإدارة المناقشات، وتصميم المواقف التعليمية المشوّقة والمثيرة وغير ذلك من الأمور"، كل هذه الشروط التي ينبغي توافرها في المعلم النشط تؤسس لعمل تعليمي / تعليمي يتمركز حول جعل المتعلم قطبا رئيسا في بناء التعلّيمات.

ومن هنا كان نجاح خطاب الصورة الإلكترونية في تحقيق الأهداف التعليمية/ التربوية متعلقا بتأدية المعلم لأدواره الأساسية، حتى يتسنى للمتعلّم توظيف قدراته الذهنية/ الإدراكية في سياق بحثه عن المعرفة، ولا شك أن هذا الأسلوب التعليمي سيلقى ضالته إذا أولاه المعلم اهتماما كبيرا ينصب حول النظر إليه على أنه مركزا في بناء المعرفة لا وسيطا في الوصول إليها، لأن العمل بالصورة يكون على ذلك المستوى الرمزي الأيقوني، "وهو المستوى الدلالي والمعري الذي يمثل القصد الأساس من إرسال خطاب الصورة، وهو جهة المعلومة الجديدة التي ستضاف إلى رصيد الطفل المعري والثقافي".

ولأن خطاب الصورة الإلكترونية يستوقف الجانب البصري للمتعلّم فإن هذه الخاصية الجوهرية التي تشكل وسمه مهمة في الاستحواذ على تفكيره وذهنيته، ومن ثم العمل على تنشيطهما من خلال الترميزات والإشارات التي تستوطن محتواه، فإن التركيز على الجوانب الحسية البصرية له ما يبرره إذا ما أردنا الوجهة نحو هذا الجانب المهم في المراحل التعليمية الأولى، "فالإبصار من أهم منافذ المعرفة البشرية بأسرها، فله القدرة على التوحيد والتأليف وهي قدرة مستمدة من الفهم، فالإبصار يمارس وظيفته من خلال التصورات المعطاة من حوله في إطار واحد له القدرة على استقطاب التصوّرات، وإقامة الصلة بين الصورة والموضوع، فهي التي تمثل الشرط الموضوعي لكل معرفة، وفيها يتم ملكة الفهم إدراجها في إنتاج المعرفة".

ومن هنا جاءت أهمية التركيز على هذا النوع من الخطابات في العملية التعلّمية/ التعليمية، والعمل على توفير الوسائل التكنولوجية التي يتم من خلالها العرض البصري بما فيها: الكمبيوتر، اللوحة الإلكترونية، الانترنت... إلخ، إضافة إلى ذلك توجيه العمل بما نحو تحقيق الجودة والفعالية للعملية التعليمية، كل هذه الشروط تعد بمثابة آليات عملية يتم من خلالها العمل بالصورة الإلكترونية لتكون مصدرا للمعرفة.

وفي الأخير يمكن القول بأن آليات توظيف خطاب الصورة الإلكترونية تنساق نحو تفعيل عملية التعلّم، فترتكز على تجديد النظرة إلى هذا الخطاب بوصفه مركزية من مركزيات

بناء المعرفة، كما أن نجاعة ممارسته الفعلية تتوقف على قيام المعلم بدوره المنحصر في توجيه وترشيد المتعلم حتى يكفل له فضاء تفاعليا يمكنه من البحث عن المعرفة والتوصل إليها.

4_ الصورة الإلكترونية وأساليب قراءتها:

يحتل خطاب الصورة الإلكترونية موقعا مهما في العملية التعليمية/ التعليمية على اعتبار أنه يقع ضمن الطرائق النشطة التي يتم العمل بها لتطوير الممارسات التعليمية/ التعليمية ويختص هذا النوع من الخطابات بتفعيل دور المتعلم، والتركيز على تنمية مهاراته الأدائية للفعل التعليمي، حين يفتح له المجال لممارسة فعل التعلم على أكمل وجه، ويوفر له فضاء خصبا لتحقيق التكامل بين مكتسباته.

ويتحدد الدور الهام لخطاب الصورة الإلكترونية في تحقيقه لمجموعة من الأهداف التعليمية والتربوية التي تتمحور حول إعطاء طابع تفاعلي لعملية التعلم، إلا أنّ دوره ذاك يبقى مرتبطا بأهمية معرفة كل من المعلم والمتعلم بأساليب قراءة محتواه، فيأتي التركيز بذلك على أهمية تكوين المعلمين وتزويدهم بالمعطيات العملية التي توجه دورهم في العملية التعليمية خصوصا تلك المتعلقة بكيفية التعاطي مع استراتيجيات التعليم الإلكتروني، بعد أن صارت التكنولوجيا حجر أساس في نجاح عملية التعلم.

وعلى هذا الأساس انحصر دور التربية " في تنمية التلميذ من الجانب المعرفي والمهاري، وذلك بأساليب وطرق تدريسية متعددة، تغرس في التلميذ توظيف التكنولوجيا في الحياة اليومية، وتمثل الوسائل التعليمية مجموعة من الأجهزة والأدوات والمواد التي يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم، كما أن تقنيات التعليم عبارة عن عملية منهجية مُنظمة للعمل، وتقوم على إدارة تفاعل بشري منظم مع مصادر التعلم المتنوعة من: المواد التعليمية والأجهزة أو الآلات التعليمية، لتحقيق أهداف محددة"، ومن هنا جاء الالتزام بتوظيف الوسائل التكنولوجية لتمثل مصدرا لتحصل التلميذ على المعرفة.

وعليه فإنّ تكوين المعلم في هذا المجال يهدف خاصة إلى توجيه وترشيد دور المتعلم في العملية التعليمية، لأنّه إذا أدرك المعلم تقنيات استخدام الوسائل التكنولوجية في العملية التعليمية سيتمكن بعد ذلك من تعريف المتعلمين بكيفية التعامل معها والاستفادة منها في بناء المعرفة، ولهذا فقد كان لا بد أن يقوم بتوظيف خطاب الصورة الإلكترونية كغيره من الخطابات الأخرى على تزويد المتعلمين بآليات وأساليب القراءة التي تضمن لهم الاستحواذ الأمثل

للمعرفة، ويمكن أن نشير إلى أن المقصود بأساليب قراءة الصورة الإلكترونية تلك التقنيات التي يمكن من خلالها النفاذ إلى محتوى هذا الخطاب، فتساعد المتلقي على فك شفراته وترميزاته. بحيث ينبغي أن تتوقف محاولات فك شفرات هذا النوع من الخطابات على خطوتين مهمتين وهما: التمايز والتفسير، فالتمايز ونوعي به تلك النقلة التي تخص الجانب المعرفي لدى المتعلم، وفيه يتمكن هذا الأخير من استدعاء مجموعة من العمليات الذهنية لتحديد الاختلافات التي تقع من ما يُعرض أمامه، ويعدّ التمايز مرحلة من مراحل النمو العقلي التي يدرك فيها الطفل العلاقات بين الأشياء، وهو ومن أشهر صور التفكير التي يتمكن فيها الأطفال من إدراك علاقات التشابه والاختلاف بين الأشياء، أما التفسير فهو تلك المرحلة التي يدرك فيها المتعلم المادة المعرفية من خلال تحليل المعطيات المطروحة بالنظر إلى مؤدياتها وأسبابها، وكشف خباياها، والعلاقات التي تربط بين عناصرها التركيبية.

إنّ العمل بهذه الخطوات في قراءة الصورة الإلكترونية هو بمثابة استراتيجية من استراتيجيات القراءة، التي تسمح بمعرفة فحوى الخطاب البصري وترجمته إلى تركيب لغوي حيث يتم التركيز في هذه الاستراتيجية على العمل بثلاث مستويات وهي:

- **المستوى الأول:** وهو التعداد أو السرد (Enumération)، وفي هذا المستوى يتعرّف المشاهد على عناصر الصورة، ويميّزها عن طريق المماثلة والمطابقة، معتمدا على خبرته السابقة.

- **المستوى الثاني:** وهو الوصف (Description)، وهنا يقوم المشاهد بوصف الحالة التي عليها تلك العناصر.

- **المستوى الثالث:** وهو التفسير (Interprétation)، وهو مستوى الاستدلال والاستنتاج وإصدار الأحكام، وفيه يعتمد المشاهد على خبراته السابقة في الإلمام بمختلف التأويلات المرتبطة بالألوان والأحجام، التي تتخذها عناصر الصورة، وأبعاد تموضعها، ولا يمكن لأي كان الوصول إلى فحوى الخطاب دون المرور على هاته المستويات.

ولهذا فقد غدت هذه المستويات منبرا يقف عنده متلقي الخطاب البصري ليعلن من خلاله قصديته لفك رموز هذا الفضاء الإيحائي والغوص أكثر في معانيه، ولربما سيكون ذلك إضافة من الإضافات التي تضاف إلى الأساليب والآليات المعتمدة في قراءة الصور الإلكترونية،

والتي نجدها في موضع تحديد لدور المعلم والمتعلم في هذا الأسلوب التعليمي ويمكن أن نوجز هذه الأساليب في ما يلي:

- الانفتاح والمرونة في تقبل القراءات، فليس الفنان من يتحكم في مفاتيح الصورة بل القارئ (المتلقي) من يملك مفاتيحها، فهي تحتاج إلى مؤول يكلمها لتبقى التأويلات مستمرة مع استمرار الصورة، وعلى المعلم أن يتيح لكل متعلم فرصة للتعبير عن رؤيته، وعليه أن يتقبل كل الرؤى ليشكل منها موقفا تقويميا يلزم فيه المتعلم بكشف أخطائه وتصحيحها.
- وضع شبكة تحليلية لقراءة الصورة، مستفيدين من المبدئين اللذين يحركانها، وهما مبدأ التجميع ومبدأ التدرج في قراءتها، وفي هذا الأسلوب يعمل المعلم على أن يتمكن المتعلم من الربط بين أفكاره وأفكار زملائه للتوصل للمعنى الإجمالي للخطاب.
- وقفة متأنية ومتأملة لقراءتها، فيقف المتعلم على الحدود الرئيسة للتشكيل الصوري، ليبين عن قواعده ومعطياته.
- الاستغراق في العمل والعيش معه، وهي ميزة الباحث المتميز، فالمتعلم النشط هو من يجتهد دون ملل حتى يتوصل إلى المعرفة.
- ووما يساعد على القراءة الصحيحة هو توظيف الخلفية الثقافية والمعرفية والاطلاع الجيد، فيدرب المتعلم على كيفية الاستفادة من مكتسباته وتوظيفها في إيجاد الحلول للوضعيات التي تواجهه.
- وفي الأخير يمكن القول أن قراءة الصورة الإلكترونية عملية تتوقف على دراية تامة بأساليب القراءة وكيفية إدراجها في ممارسة الفعل التعليمي، ويستلزم تطبيقها مهارات خاصة ينبغي أن يُرَوِّد بها المعلم والمتعلم حتى يؤدي هذا الخطاب رسالته على أكمل وجه، وليصبح المتعلم وفقا لهذا الأسلوب التعليمي باحثا عن المعرفة ومتفاعلا معها في الآن نفسه مستخدما فيه آليات التفكير العالي من تحليل واستنتاج وتفسير... إلخ، وهو هنا لا يبحث عن المعرفة فحسب بل ينمي تفكيره بآليات جديدة من مثل أن يدرج مكتسباته السابقة في إيجاد الحلول، وأن يدمج بناء على ذلك مكتسباته الجديدة.

خلاصة ومقترحات:

- من خلال ما تقدم خلصنا في الأخير إلى جملة من النتائج والمقترحات التي هدفت هذه الورقة إلى تبيّنها، ويمكن أن نوجزها في ما يلي:
- يعد التعليم الإلكتروني من مستحدثات المنظومة التربوية التي تهدف إلى الانتقال بالمؤسسة التعليمية من منطق التعليم إلى منطق التعلّم.
 - يعدّ خطاب الصورة الإلكترونية من الأساليب التعليمية الحديثة التي تهدف إلى تفعيل عملية التعلّم بجعل المتعلّم محور العملية التعليمية.
 - لقد أصبحت الصورة الإلكترونية مصدرا من مصادر المعرفة، يزوّد المتعلم من خلالها بمجموعة من المعارف والخبرات.
 - لم تعد الصورة الإلكترونية تلك الوسيلة التعليمية التي يهدف المعلم من ورائها إلى تبسيط وتوضيح النصوص اللغوية، بل غدت محطة يقف التلميذ فيها على أبواب المعرفة الشاسعة.
 - تكنسي الصورة الإلكترونية أهمية كبرى في الحقل التعليمي كونها وسيلة من وسائل تنمية التعلّّات.
 - ترتبط الأهداف المتوخاة من توظيف خطاب الصورة الإلكترونية في العملية التعليمية بأساليب وآليات تمكن المتعلّم من الاستحواذ على مبتغاه من المعرفة.
- * هذا فيما يخص نتائج البحث أما في ما يخص المقترحات التي خلصت إليها هذه الدراسة فيمكن أن نجملها في ما يلي:
- التكثيف من الندوات التربوية والأيام الدراسية لزيادة تكوين جميع الأساتذة في مجال التعليم الإلكتروني.
 - إعطاء أهمية أكبر لخطاب الصورة الإلكترونية، مع العمل على أن يتم العمل به كمصدر من مصادر المعرفة وليس كوسيط بين المتعلم والمعرفة.
 - إعطاء عناية أكبر للصور الإلكترونية التي تعرض على التلاميذ، ليتم العمل بالصور التي تتلاءم والمرحلة العمرية للمتعلّم، دون أن ننسى توفيق هذه الصور مع المعطيات القومية والأخلاقية.

- التركيز على تزويد المؤسسات التعليمية بالوسائل التكنولوجية المختلفة، وخصوصا المؤسسات التي تقع في مناطق معزولة.

الهوامش:

- 1- عميش عبد القادر، قصة الطفل في الجزائر -دراسة في الخصائص والمضامين، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص203.
- 2- المرجع نفسه، ص 203.
- 3- سلطاني فضيلة، صور الكتب المدرسية ومستوى التحصيل المدرسي للتلميذ_ التعليم الابتدائي نموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص وسائل الإعلام والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005/2006، ص48.
- 4- محمد محمد الهادي، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها، دار الشروق للطبع والنشر، ط 1، القاهرة، مصر، 1989، ص25.
- 5- أحمد دعدوش، قوة الصورة_ كيف نقاومها وكيف نستثمرها؟، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ط1، (دب)، 2014، ص5.
- 6- سعد لعمش و ابراهيم قلاطي، الجامع في التشريع المدرسي الجزائري، ج1، دار الهدى للنشر والتوزيع، (دط)، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص38.
- 7- ينظر: محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف_ أسسه وتطبيقاته، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، (دط)، عين مليلة، الجزائر، 1997، ص126.
- 8- إميلي عبد المسيح وآخرون، تربية الطفل ومبادئ علم النفس، مطبعة الاعتماد، (دط)، (دب)، 1938، ص187
- 9- يوسف خليل مارون، الوسط المدرسي بيئة رياضية للتعلم والتعليم (بحسب النظام التعليمي الجديد)، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1 ن بيروت، لبنان، 2015، ص254.